فى ألمانيا الديموقراطية لم أجد الديموقراطية!!

حامد دنيا

فى يوم الاحتفال بعيد التأميمات قال الرئيس السادات : إن النظام الماركسى لا يحترم الشيخوخة ولا القيم ، واستشهد بواقعة السيدة الألمانية العجوز التى يزيد عمرها على ٧٠ عاما ، ورآها فى الثامنة صباحا وهى تكنس الشارع فى برلين الشرقية ، بعد أن عبر برلين الغربية فى عام ١٩٥٥ ..

ولقد استطعت أن أقف على هذه الحقيقة عندما قضيت عشرة أيام كاملة فى برلين الشرقية مع أعضاء الوفد المصرى فى المؤتمر البرلمانى الدولى الذى انعقد هناك فى النصف الثانى من سبتمبر الماضى . عشت متنقلا بين برلين الشرقية وبرلين الغربية عابرا بوابة شارع فريد الواقعة تحت النفوذ الروسى ، ولأدخل دنيا الحياة فى العالم الغربى بمعناها الواسع .. تنقلت لأرى الفرق الكبير بين عالم يعيش حياة الديمقراطية ، وآخر يعيش دكتاتورية البروليتاريا !!

فى العدد الماضى من هذه المجلة روبت لك ماذا فعل أعضاء الوفد البرلمانى المصرى بقيادة الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب ، ساعة بساعة ، منذ افتتاح المؤتمر الدولى رقم ٦١ لجمعية الناطقين باللغة الفرنسية الذى انعقد فى أوتاوا عاصمة كندا بقاعة الاجتماعات الرئيسية بمجلس العموم الكندى يوم الاثنين ٨ سبتمبر الماضى حتى صدرت توصياته فى جلسته الختامية يوم الجمعة ١٢ سبتمبر ، وتابعت معك أيضا تنقلات أعضاء الوفد المصرى يوما بيوم فى أوتاوا ومونتريال ومونتريال بولاية كيبك ، إلى أن جاء موعد رحيل الوفد يوم الاثنين ١٥ سبتمبر لتبدأ رحلة جديدة إلى ألمانيا الشرقية لحضور المؤتمر البرلمانى الدولى رقم ٦٧ الذى انعقد فى برلين الشرقية ، حيث استطاع فيه الوفد المصرى أن يحرز انتصارا كبيرا وأن يحبط محاولات دول الرفض بقيادة بعث العراق التى كانت تهدف لعزل مصر أو تجميد عضويتها أو استصدار قرار من المؤتمر بإدانة اتفاقية كامب ديفيد ، أو الحصول على أى قرار آخر ضد قرارى ٢٣ يوليو و١٥ مايو .. لقد فشلت جميع محاولات دول الرفض .. وأصدر المؤتمر قرارا شبه إجماعى أدان فيه إسرائيل لقرارها الخاص بضم القدس العربية إلى القدس الشرقية وجعلها عاصمة لإسرائيل .. بل لقد كان من نتيجة العمل المتواصل والتنسيق المنظم بين أعضاء الوفد البرلمانى المصرى ، واتصالاتهم الخاصة سواء داخل قاعات المؤتمر أو خلف الكواليس أو فى خارجه .. أن أبدت منظمة التحرير الفلسطينية لأول مرة مبدأ المفاوضات فى إنهاء النزاع والخلافات الدولية بدلا من الالتجاء للحرب .. فلقد كانت لجنة وفد فلسطين – بوصفها دولة مراقبة – على لسان مندوبها خالد الحسن معتدلة فى المؤتمر وهو يتحدث عن وجهة النظر الفلسطينية ..

ولقد سبق أن ذكرت ذلك كله تفصيليا فى العدد رقم ٢٠٥ من هذه المجلة الصادر يوم ٢٨ سبتمبر الماضى تحت عنوان « رسالة من برلين الشرقية » وفى هذا التحقيق أعود إلى يوم الاثنين ١٥ سبتمبر ، موعد مغادرة الوفد المصرى لكندا فى طريقه إلى برلين الشرقية ..

غادرنا فندق المريديان الساعة السادسة مساء قاصدين مطار ميرابل بمونتريال . قطعنا المسافة – ٦٠ كيلو مترا ، أى من القاهرة إلى قويسنا – فى ساعة بالسيارات ..

وفى مطار ميرابل كانت المفاجأة . إن طائرة الأيرفرانس التى ستركبها إلى باريس حسب الحجز سيتأخر موعد قيامها من مونتريال ثلاث ساعات على الأقل .. ومعنى هذا أننا لو ركبنا هذه الطائرة فسنصل إلى باريس بعد قيام الطائرة التى سنقلنا من هناك إلى امستردام فبرلين الشرقية بساعتين .. وبالتالى فسوف يكون مطلوبا منا أن نبيت ليلة أخرى فى باريس . لتستقل الطائرة فى اليوم التالى إلى برلين الشرقية .. وهذا سوف يؤدى إلى وصولنا بعد افتتاح المؤتمر البرلمانى الدولى رقم ٦٧ بيومين .

وكان على الوفد أن يتحرك بسرعة للبحث عن طريقة توصلنا إلى برلين فى الموعد المناسب ، وهو يوم افتتاح المؤتمر .. قابل الدكتور محمد عبد اللاه رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشعب وعضو الوفد ومعه الأستاذان سيد الخولى قنصلنا فى مونتريال ومساعده مأمون الديب .. مندوب شركة الأيرفرانس .. وفى النهاية أمكن أن نستقل طائرة أخرى تابعة لشركة الخطوط الجوية الكندية إلى أمستردام مباشرة بدلا من الذهاب إلى باريس ثم امستردام .. انتظرنا فى المطار أربع ساعات كاملة حتى جاء موعد قيام الطائرة الكندية ..

وفى الحادية عشرة مساء غادرنا مطار ميرابل على الطائرة الكندية .. كان الوفد المصرى يتكون من الدكتور محمد عبد اللاه والمستشار إبراهيم الشربينى أمين عام مجلس الشعب وأنا . غادرنا المطار فى طريقنا إلى أمستردام ..

والحقيقة أن الطائرة والخدمة فيها كانت غير مريحة .. حتى طاقم المضيفين فى الدرجة الأولى كانوا غير مرحبين ، أو أنهم حديثو العهد فى هذه المهنة الكبيرة . لدرجة أن أحد المضيفين ارتبك ووقع منه كوب عصير البرتقال على الدكتور عبد اللاه ، وكان يجلس بجواري .. وهذه الحادثة ربما تقع لأول مرة فى تاريخ الطيران العالمى .. ولقد جاء رئيس المضيفين واعتذر وعلل ذلك بأن الطائرة قادمة من تورنتو . والمفروض أنها كانت ستتأخر فى مونتريال حتى الصباح ، ولكن تقرر فى آخر لحظة أن تواصل الرحلة إلى أمستردام ، حتى يستطيع كثير من المسافرين أن يصلوا إليها ليلحقوا بالطائرات الأخرى فى الموعد المناسب ، طبقا لمواعيد الحجز .. وهذا فالمضيف لم يأخذ راحته الكافية !!

وقبلنا العذر .. وبدأت الرحلة ، وتناولنا المرطبات وطعام العشاء وشاهدنا فيلما سينمائيا كالمعتاد ، ولم نستطع أن نمنع رغم أنف شيش شبابيك الطائرة كان مسدلا ، وأنوار الطائرة الداخلية قد أطفئت ، وأرجئنا غطياها بالبطانيات .. أى أن كل شىء قد أعد لكى ننام ولو قليلا .. ولكن بلا فائدة .. فعيوننا مفتوحة ، والأرق يتملكنا .. وكنت بين الحين والحين أتطلع إلى باقى ركاب الدرجة الأولى من الجنسيات الأخرى الذين يغطون فى نوم عميق ، لأقول فى نفسى : يا بختهم !!

واستمرت الرحلة سبع ساعات ..

وفى التاسعة صباحا ، بتوقيت أمستردام ، تناولنا طعام الإفطار .. وبعد ساعة كانت الطائرة قد هبطت مطار أمستردام ، والحمد لله ..

الثلاثاء ١٦ / ٩ :

بقينا فى مطار أمستردام الترانزيت أربع ساعات كاملة . قضيتها أغلبها فى مشاهدة السوق الحرة .. والحقيقة أن الفكرة التى كانت فى ذهنى عن الأسعار فى هذه السوق قد انقلبت إلى العكس ..

كانوا يقولون : إن الأسعار بمطار أمستردام منهودة أو معقولة نوعا ما .. ولكن هذا كلام غير صحيح .. فالأسعار خيالية ..

د . صوفى أبو طالب أمام بوابة براندنبرج ، فى برلين الغربية .. وهى البوابة الشهيرة التى دخل منها الأسبراطور نابليون بونابرت غازيا لألمانيا .. وحاليا هى الحد الفاصل بين برلين الغربية والشرقية

الدكتور ذكروزى وحسن حافظ والدكتورة فرحندة حسن أعضاء وفد مصر فى المؤتمر البرلمانى الدولى رقم ٦٧

مثلا : زجاجة البارفان ، أقل حجم ومن أى نوع ، وصل سعرها إلى ٤٠ دولارا أمريكيا ! !

ساعات اليد .. يبدأ سعر الساعة الواحدة من ٢٠٠ دولار حتى ٣ و ٤ آلاف دولار ! ! باختصار .. إن الأسعار .. نار .. نار .. نار ..

ولكن المطار جميل ونظيف ككل مطارات أوروبا ، وفيه كل شىء . صحيح أن حجمه يقل كثيرا عن مطار شارل ديجول فى باريس ، ومع ذلك فكل شىء فيه ممتع وجذاب جدا . ولكن ماذا نفعل أمام جنون الأسعار ؟ !

عار يا مصر ..

وكان أصعب موقف قابلناه فى مطار أمستردام .. عندما أعلن عن رحلتنا إلى برلين الشرقية . لقد كان محتما علينا أن نركب من البوابة أو المدخل رقم ٣٥ فى المطار .. ولقد سرنا أكثر من ثلث ساعة نحمل شنطنا حتى وصلنا إلى هذه البوابة مرهقين جدا . فقد كانت المسافة إليها لا تقل عن ثلاثة أرباع الكيلو متر !

المهم ركبنا الطائرة الهولندية K. L. M .. والذى يستحق التسجيل أنه منذ اللحظة التى دخلنا فيها الطائرة .. أحسسنا براحة عميقة واطمئنان غريب . فكل شىء فى هذه الطائرة رائع وجميل .. المضيفات .. الابتسامة على وجوههن .. الخدمة ونوع الأكل .. حتى إننا لم نشعر بالرحلة .. فلم نكد ننتهى من تناول المرطبات وطعام الغداء ، حتى كنا قد عبرنا أجواء الدانمارك وألمانيا الغربية ، وسمعنا صوت المذيعة الحسناء الرقيق يطلب إلينا ربط الأحزمة ومنع التدخين ، لأننا أصبحنا فوق مطار برلين الشرقية .. وفعلا هبطنا أرض المطار بعد ساعتين من مغادرة الطائرة مطار أمستردام ..

■ ■ وفى مطار برلين الشرقية .. وكنا حوالى الساعة الرابعة والنصف مساء ، كان كل شىء هادئا . لم نسمع صوتا واحدا . فلا ركاب . وكل شىء يتحرك فى المطار بأمر من السلطات تحتفى الحذوه والحزم . المطار نفسه أخلى من الناس ، إنه معد فقط ومخصص لاستقبال أعضاء الوفود البرلمانية القادمة من ٧٥ دولة من كل أنحاء العالم شرقا وغربا ، الذين بلغ عددهم ألف عضو .. أما باقى المسافرين القادمين إلى ألمانيا أو المغادرين لها فيستعملون مطارا آخر !

ذهبنا إلى استراحة كبار الزوار ، وبعد أن تناولنا المرطبات غادرنا المطار فى سيارة أتوبيس مع مستشارنا الثقافى بألمانيا الشرقية ، إلى فندق بلاستا .. وهو أعظم وأكبر فنادق ألمانيا الشرقية على الإطلاق . وهذا الفندق يتوسط مدينة برلين الشرقية ، وقد بنوه على أحدث طراز فى فن المعمار . والمسافة بين المطار والمدينة تبعد حوالى خمسين كيلو مترا قطعها الأتوبيس فى ساعة كاملة ..

×× نسيت أن أقول لك .. إنهم فى استراحة كبار الزوار بالمطار طلبوا منا جوازات السفر .. وقد سلمونا لنا مع شنطنا بعد أن وصلنا فندق بلاستا بنصف ساعة تقريبا ..

×× وفى الطريق من المطار إلى برلين الشرقية .. صحيح المنظر جميل وجذاب ، والخضرة حلوة ومنعشة .. ولكنها على أية حال ليست كالطريق من مطار أوتارا إلى فندق شاتوه لوريه بأوتاوا عاصمة كندا ، أو الطريق ومن مطار أمستردام إلى لاهاى بهولندا ..

إن هذين الطريقين هما جنة الله فى أرضه .. فالغابات والخضرة تكاد تغطى كل شىء وتعلو فوق كل شىء ..

والملاحظ أيضا أن الطريق من مطار برلين الشرقية إلى فندق بلاستا يكاد يكون خاليا من المارة .. باختصار شديد إن مدينة برلين الشرقية يخيم عليها الهدوء الكامل ..

وعندما وصلنا إلى فندق بلاستا ، وجدنا باقى أعضاء الوفد البرلمانى المصرى .. الذين كانوا قد غادروا القاهرة ، قبل موعد انعقاد المؤتمر بيومين ، متجهين رأسا إلى برلين الشرقية .. قد وصلوا الفندق قبلنا بيوم واحد .

هؤلاء الأعضاء هم الأساتذة :

محمد عبد الحميد رضوان وكيل مجلس الشعب والدكتور محمد الذكروزى رئيس لجنة الخطة وفتح الله رفعت رئيس اللجنة الاقتصادية وحسن حافظ وكيل لجنة الشئون العربية والدكتورة فرحندة حسن الأستاذة بالجامعة الأمريكية وعضو مجلس الشعب ..

الفنجان والطبق = ٢٠٠ دولار !

بعد أن وصلنا إلى فندق بلاستا ، صعدنا إلى غرفنا مباشرة ، استرحنا دقائق وارتدينا ملابسنا ، ونزلنا لنلحق بباقى أعضاء الوفد المصرى الذين كانوا ينتظروننا فى قاعات الاستقبال حيث جلسنا نتحدث بعض الوقت حتى وصل الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب ورئيس الوفد قادما من الولايات المتحدة الأمريكية .

وكان قد تركنا فى مونتريال بكندا وسافر إلى نيويورك وواشنطن بأمريكا فى مهمة عاجلة استغرقت ثلاثة أيام ..

وبعد أن اكتمل كل أعضاء الوفد ، ذهبنا معا إلى حفل الاستقبال الذى أقامه رئيس الجمهورية الألمانية الديمقراطية تكريما لأعضاء الوفود البرلمانية المشاركة فى المؤتمر البرلمانى الدولى السابع والستين بقصر الرئاسة فى برلين الشرقية .. وقد استمر هذا الحفل حتى الحادية عشرة مساء ، ثم عدنا إلى الفندق .. لتبيت ليلتنا الأولى فى ألمانيا الشرقية .

من الأربعاء ١٧ / ٩ إلى السبت ٢٠ / ٩ :

كنا نذهب يوميا صباحا ومساء إلى مقر انعقاد المؤتمر بقاعة اجتماعات مجلس النواب الألمانى ، وهو المبنى المواجه مباشرة لفندق بلاستا .

كما نحضر جلساته العامة حيث كان يلقى رؤساء الوفود كلماتهم . وكانت تستمر جلسات المؤتمر أحيانا إلى الساعة الثانية عشرة مساء — أى منتصف الليل .

×× والحقيقة أن مبنى برلمان ألمانيا تحفة رائعة . كبير جدا . يحتوى على أكثر من ثلاثة مطاعم كبيرة يمكن أن يتسع كل منها لأكثر من ألف عضو .. وبه قاعات ضخمة . لدرجة أن القاعة التى أقام فيها رئيس برلمان ألمانيا الشرقية حفل الاستقبال الكبير بعد صدور قرارات المؤتمر وتوصياته فى جلسته الختامية التى انعقدت يوم الأربعاء ٢٤ سبتمبر ١٩٨٠ ، والتى تحدثت عنها تفصيلا كما سبق أن ذكرت فى هذه الحلقة فى العدد ٢٠٥ الصادر يوم الأحد ٢٨ سبتمبر ١٩٨٠

إن القاعة التى عقد فيها حفل العشاء الراقص تكريما ونوديا لأعضاء الوفود ، كانت تبدو كأنها خالية من المدعوين رغم أن عدد أعضاء المؤتمر يبلغ ألف عضو ، وأن أكثر من ألف عضو آخرين كانوا يحضرونه .. كما كانت توجد بجوار هذه القاعة الكبيرة ، قاعة أخرى تساويها فى الحجم إن لم تكن أكبر منها . وهذه القاعة غاية فى الروعة والجمال وفن الخدمة ، ويستخدمها أعضاء البرلمان الألمانى الديمقراطى فى الحفلات الراقصة .. وقد رقص كثير من أعضاء الوفود البرلمانية الأجنبية فى تلك الليلة بعد تناول طعام العشاء على أنغام الموسيقى تعبيرا عن فرحتهم وسعادتهم .. وبجانب هذه القاعات الكبيرة والمطاعم المتعددة توجد قاعات كثيرة جدا تتم فيها اجتماعات اللجان ..

إننا نفكر جديا فى البحث عن مكان مناسب أو نقيم دارا للمؤتمرات ، حتى يمكن أن نقيم فيها خلال السنوات الخمس القادمة مثل هذا المؤتمر البرلمانى الدولى ، وهو الذى يضم البرلمانيين فى العالم أجمع ! !

وخلال فترة انعقاد المؤتمر حتى صدور قراراته فى ٢٤ سبتمبر ، كنا نختلس بعض الوقت لنتجول فى شوارع وأحياء وميادين برلين الشرقية ، كما نخرج على معروضات محلاتها .. ولقد استطعت خلال الأيام العشرة التى قضيتها أن ألف بصدق وأمانة على الحياة فى ألمانيا الشرقية . والفرق بينها وبين الحياة فى ألمانيا الغربية .. فقد كنت أعبر كثيرا البوابة التى تفصل بين برلين الشرقية وبرلين الغربية . كنت أعبر تلك البوابة العتيقة المقامة بعد الحرب العالمية الثانية فى نهاية شارع فريد لأتجول عدة ساعات فى شوارع وأحياء ومحلات برلين الغربية .. وكم كان الفرق كبيرا بين الحياة فى المدينتين . وكما قال الرئيس السادات نحن فى خطابه السياسى يوم ١٥ أكتوبر الحالى فى الاحتفال بعيد التأميمات بقاعة اللجنة المركزية .. إن النظام الماركسى لا يحترم الشيخوخة أو القيم . عندما حكى الرئيس السادات كيف إنه فى سنة ١٩٥٥ وكان عضوا فى مجلس قيادة الثورة عندما طلب وهو فى برلين الغربية أن يزور ألمانيا الشرقية ..

قال الرئيس السادات : « عدنا من برلين الغربية ودخلنا برلين الشرقية الساعة ٨ صباحا . وكان الكاسون يكسون الشوارع . وفوجئت وأنا أسير فى شارع من الشوارع بالعربة بسيدة تعدت السبعين وملامح المعاناة مرتسمة على وجهها . معاناة حياة طويلة . وماسكة الفلنة لتكنس الشارع .. رأيت هذه السيدة التى كانت صورة طبق الأصل من جدتى بالتعاريج اللى فى وشها . وسألت المرافقين اللى كانوا معانا من ألمانيا الغربية ليه ست كبيرة زى دى ٧٠ سنة وأكتر بتكنس الصبح والصبح بدرى . طريقة النظام الشيوعى من لا يعمل لا يأكل .. ما فيش هناك قيمة لا للسن ولا للشيخوخة .. لا تأمين للمرض . لا تأمين أو شىء لأولئك الذين بذلوا جهدهم وحياتهم ويوصلوا إلى هذه السن ! بينما فى ألمانيا الغربية جنبهم نفس هذا الشىء . دور المسنين – موجودة عايشين فيها بكل تكريم وبكل راحة وبكل العلاج والطعام وكل شىء ».. .

إنهم يقولون إن السيدات يعملن فى سن كبيرة لأن عددهن يزيد على الرجال بثلاثة ملايين نسمة . ولكن هذه حجة غير مقبولة ولا معقولة ولا منطقية . لأن للإنسان سنا محددة يجب ألا يعمل فيها إذا ما بلغها . وهى سن المعاش .. فى هذه السن يجب على الدولة – أية دولة – أن تضمن للمواطن حياة عزيزة . كما وفرت مصر معاشا لكل مواطن مصرى ..

والشعب الألمانى الديمقراطى – ١٧ مليون نسمة – حياته كلها طوابير . ليست فقط طوابير فى طلب الأكل .. ولكن فى شراء أى شىء .. حتى فى الأحذية . لقد شاهدت بنفسى فى شارع كارل ماركس . وهو شارع رئيسى فى برلين الشرقية . الناس يقفون فى طوابير ليأخذوا « سلطانية » الشوربة كغذاء رئيسى لهم .. وشاهدتهم أيضا فى أحد المحلات . حتى محلات الخضائع المستوردة يقفون فى الطوابير . لشراء أى شىء . حتى شراء الأحذية والشبط ! للدرجة أننى خرجت من المحل مسرعا هذا المنظر العجيب !

والحاجات والأطعمة والسكن رخيصة بعض الشىء فى ألمانيا الشرقية . لأن كل شىء مملوك للدولة . تستطيع أن تأكل نصف فرخة مشوية فى محل كبير بالميدان الرئيسى فى وسط العاصمة بمبلغ ٧ ماركات شرقية .. والمارك يعادل عشرة قروش . أى أن ثمن نصف الفرخة المشوية على طريقة محل أندريا بالهرم يساوى ٧٠ قرشا وهو ثمن معتدل جدا .

ومن أحسن الأكلات هناك « الروم ستيك » لحم بقرى وهو يعادل « الفيليه » عندنا .. كنا نأكله فى محل الحرية أسفل فندق بالاما بثمن معتدل يصل إلى جنيهين .

ومن أجمل أحياء برلين الشرقية . كينك وهو منطقة متسعة جدا . وتمتد على بحيرة وهى عبارة عن مساحات ضخمة من الغابات الخضراء ..

وفى نهاية حى كينك توجد منطقة سياحية . يستخدمون فيها الشقات والقوارب للصيد والنزهة فى البحيرة الصغيرة جدا الموجودة فى نهاية حدائق كينك . وهذه الحدائق تشبه إلى حد كبير حديقة الأسماك عندنا أيام زمان . قبل أن تتدهور !!

لبنا نستغل لبنا العظيم فى جعله مصدرا كبيرا للسياحة فى مصر .

× × ومن أشهر منتجات ألمانيا الشرقية .. صناعة الماسين أو صناعة الخزف والصينى . وهم يباهون به العالم أجمع ومعهم حق !!

ولكن أسعارها نار .. يكفى أن تعرف أن فنجان القهوة الماسين يبلغ سعره ٢٠٠ دولار أمريكى . وأن طقم الشاى

جانب من قصر اوجكس .. الامبراطور الذى اتعب ٣٦٥ ولدا اى بواقع ولد فى اليوم . فى عصر النهضة الألمانية

ثولتير .. هرب من الترف !

الماسين مكون من مراد كبير ومرادية للبن .. وفنجانين يصل سعره إلى ثلاثة و ٤ آلاف دولار !!

ولذلك فقد كنا ننظر إلى فترينات محلات الماسين ثم ندخل المحل ونتفرج على المعروضات . وبعد أن نشاهد السعر المثبت عليها نهز رءوسنا ونخرج صامتين !!

الأحـد ٢١/٩ :

استيقظنا مبكرين فى هذا اليوم . ذهبنا – أغلب أعضاء الوفد المصرى – الدكتور محمد الدكرورى والمستشار إبراهيم الشربينى والأستاذ فتح الله رفعت وأنا ..

سافرنا مع باقى أعضاء الوفود . فى ٣٠ سيارة أتوبيس إلى درزدن .. وهى مدينة تبعد ٢٠٠ كيلو عن برلين الشرقية .. وصلناها بعد ٣ ساعات .. وأصعب شىء فى هذه الرحلة كان سيارات الأتوبيس .. فأصواتها كالكراكة وليست مكيفة ولا توجد بها أية ثلاجة أو مشروبات ولا أجهزة تكييف كسيارات الأتوبيس التى تستخدم فى الرحلات بأوروبا الغربية ..

المدينة صناعية من الدرجة الأولى . بل بسببها أصبحت ألمانيا الشرقية – كما يقولون – سابعة دولة صناعية فى العالم . وهى أجمل من برلين الشرقية . شوارعها متسعة ونظيفة ومخارطها الزرع والبحيرات وتتوسطها التماثيل وتنتشر الأراتك بين حدائقها لتستريح عليها كلما شعرت بالتعب ..

وهذه المدينة يحكون أن الأمريكان كانوا سيضربونها بالقنابل الذرية . لو لم تنجح القنبلة التى ألقيت على هيروشيما باليابان . فى إنهاء الحرب !!

وتشتهر درزدن بقصر أوجكس وهو امبراطور كان يعيش فى القرن الرابع عشر . فى عصر النهضة . ولقد أنجب ٣٦٥ ولدا . بواقع ولد كل يوم !!

ومن أهم معالمها قصر الثقافة والمتحف .. خاصة متحف الرسامين . حيث تعرض فيه لوحة للرسام العالمى رافائيل للمادونا – للسيدة مريم – كما تخيلها عندما ولدت المسيح – سيدنا عيسى عليه السلام – وكانت هذه أول صورة أو رسم لها فى العالم حيث بدأ بعده الرسامون يتخيلون صورا للسيدة مريم .

ومن أهم أجنحة المتحف الخزف الخاص بمجوهرات أباطرة عصر النهضة . وهى لا يمكن أن تقدر بثمن . وهذا طرق خاصة فى حراستها .

ودرزدن ضربها الروس بالقنابل حتى بعد إعلان الهدنة ووقف الحرب .. مدعين أنهم أخطأوا . ولكن الحقيقة أنهم كانوا يريدون للصناعة الألمانية أن تدمر إلى الأبد !

ومن أجمل ما شاهدت فى قصر الثقافة . ذلك العرض المسرحى الذى قام به تلاميذ المدارس الابتدائية وهم فى عمر الزهور .. لقد قدموا عرضا فولكلوريا على نغمات الموسيقى بطريقة ممتازة وفى حركات إيقاعية سريعة . لا تنقدها الإتقان المسرحية الخبيرة .

وكان من أجمل ما قدموه أن رحبوا بأعضاء المؤتمر بكل لغة : الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأفريقية واليابانية والصينية والعبرية .

وهذا تقليد جميل أشاهده . لأول مرة .. حينما لو طبقه شبابنا فى المؤتمرات الدولية الكبيرة التى تقيمها هنا أحيانا ..

ومن أجمل ما رأيت فى برلين الشرقية دار البلدية وهى القصر الذى بناه الإمبراطور فردريك . أحد أباطرة ألمانيا فى عصر النهضة . وهذا القصر يمتاز بقاعاته وأعمدته الرخامية . إن كل غرف وقاعات القصر مفتوحة على بعضها . ويحكون عن فردريك أنه استضاف كل المفكرين والفلاسفة الفرنسيين وأعجب بهم . وكان أول من استضافهم هو المفكر الفرنسى فولتير .. ولم يستطع فولتير أن يعيش فى ذلك القصر أكثر من شهرين !

لقد هرب من قسوة بروتوكول الحكم الامبراطورى الملكى !!

وإذا كانوا فى ألمانيا الشرقية يفتخرون . كما يقول الأستاذ صلاح أبو جبل سفيرنا هناك . بمعرض ليبزج الذى يقيمونه هناك سنويا منذ ١٢٠ عاما .. ويعرضون فيه منتجاتهم ومنتجات العالم أجمع ..

فإن حياة الضغط والكبت والقهر التى يعيشها الشعب الألمانى الشرقى لا يمكن أن تقدر بثمن – بسبب قسوة حكم البروليتاريا وديكتاتوريتها !!

×× إننى عندما كنت أعبر بوابة فردشتراسا الواقعة تحت النفوذ الروسى وأتجه مباشرة إلى برلين الغربية . أشعر كأنى كنت أقيم فى مكان مهجور . أو قبر من القبور . لأخرج إلى دنيا الحياة .. ففى برلين الغربية يمكن أن تسير فى شارع كودام . وهو من أهم شوارعها الرئيسية . وهو كشارع الشانزليزيه فى باريس . فى هذا الشارع تجد الحياة بكل معانيها . الأضواء الساطعة . الجمال . المال . المحلات . المنتجات . المعروضات . دور السينما . الملاهى الخ .. وباختصار كل شىء تريده فى دنيا الحياة . ويكفى أن تدخل محل فالدهايم لتشعر كأنك تدخل مدينة كاملة ..

أما فى برلين الشرقية .. فالشوارع مهجورة . والناس فى بيوتهم قابعون من السابعة مساء . ولا أحد يسرق الشوارع إلا سيارات الشرطة والإسعاف .. وبعض السياح الأجانب وهم قليلون .. وقد تجد بعض المحلات العامة مفتوحة وساهرة فى وقت متأخر من الليل وهى نادرة جدا ..

مثل محل بالبوص هاوس "Balhuse House" وهو ملهى ليل . يقع تحت الأرض بربعة أدوار . ويقدم رقصات غربية . وهو يشبه الأوبرج عندنا . وغيره يوجد محل أو اثنان .

وبالمناسبة .. لا أنسى الجالية المصرية فى ألمانيا الشرقية وإن كان عددهم محدودا جدا .. فهم رجال السفارة و ٥٠ طالبا مصريا مقيدون على منح دراسية لنيل الدكتوراه فى الهندسة والتكنولوجيا والزراعة والعلوم .. والحق أنهم جميعا أسرة متماسكة . وقد كانوا جميعا فى وداعنا باستراحة كبار الزوار بمطار برلين الشرقية .. عند سفرنا يوم الخميس ٢٥ سبتمبر إلى أمستردام ولاهاى وروما فى رحلة جديدة

وإلى اللقاء فى العدد القادم لنحكى لك عن الرحلة الجديدة بإذن الله ..